صور القهر والاغتراب لدى المرأة في رواية نساء الريح لرزان مغربي

دراسة في علم اجتماع الأدب

وجدان أبو القاسم المليودي ، كلية الآداب – جامعة الزاوية .
w.mohamed@zu.edu.ly

ملخص البحث

يلقي هذا البحث الضوء على أبرز الروايات النسائية التي تناولت قضايا القهر والاغتراب لدى المرأة، قد أولت الروايات النسائية منذ ولادتها اهتماماً فائقاً باغتراب المرأة الاجتماعي؛ ذلك أنها تحتل موقعا دونيا في البنية الاجتماعية في مجتمعها الذكوري الذي لا يقيم وزناً لحياتها ولرغباتها.

ولقد تطرق بحثنا هذا إلى صور القهر والاغتراب لدى المرأة في رواية نساء الريح لرزان مغربي– مدخل سوسيولوجي– وانطلق هذا البحث من إشكالية أنّ البحث في معطيات الصورة الروائية للمرأة يعد إحدى الصور الاجتماعية وإعطاء مؤشرات حول واقع المرأة، إضافة إلى أنّ هذه الصورة قدتتجاوز صورة المرأة ووضعها داخل المجتمع ؛لتكشف عن الأوضاع الاجتماعية بشكل عام.

وحاول البحث دراسة صورة القهر والاغتراب لدى المرأة كما تناولتها رواية نساء الريح، كما أوضح أساليب مقاومة المرأة للقهر والاغتراب، من خلال الهروب داخل المجتمع أو عن طريق الهجرة غير المشروعة.

وقد استعانت الباحثة بمناهج علم اجتماع الأدب وبعض مناهج ومدارس النقد الأدبي ذي المنحى الاجتماعي الذي يمكن أن يتلاءم وطبيعة البحث والاستفادة من جميع سرديات رواية نساء الريح حول واقع المرأة ومشكلاتها، ورحلة الهروب.

ولم يغفل البحث أنّ لجنس الكاتبة تأثيرا كبيرا في تشكيل صورة المرأة، فالروائيات يكتبن مهتمات بتحقيق الذات والانتصاف لكامل جنسهن الأنثوي، وكما يؤثر جنس الكاتبة على الكيفية التي صورت بها المرأة داخل المنتج الروائي، وعلاقة ذلك بالمجتمع ومنظومته الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تنعكس بدورها على صورة المرأة داخل الرواية ووضعها في المجتمع.

كلمات المفتاحية: الريح لرزان مغربي، القهر ، الاغتراب، المرأة.

Images of oppression and Alienation among Women in the Novel Women of the Wind by Razan Maghribi Study in Sociology of Literature

Doctor /Wejdan Abu al-Qasim al-Malyudi

Abstract:

This research sheds light on the most prominent women's novels that dealt with issues of oppression and alienation among women. Since her birth, women's novels have paid great attention to women's social alienation, as they occupy an inferior position in the social structure in their patriarchal society, which does not value their lives and desires.

This research has touched upon the images of oppression and alienation among women in Razan Maghribi's novel Women of the Wind. Sociological introduction. This research started from the problem that the research in the data of the narrative image of women is one of the social images and gives indications about the reality of women, in addition to that this image may go beyond the image of women and their status within society to reveal the social conditions in general.

The research attempted to study the image of oppression and alienation among women, as dealt with by the Women of the Wind novel, and explained the methods of women's resistance to oppression and alienation, through escape within society or through illegal immigration.

The researcher has used the sociology of literature and some socially oriented literary criticism curricula and schools that can fit the nature of the research and benefit from all the narratives of the Women of the Wind novel about the reality of women and their problems, and the flight of escape.

The research did not overlook that the writer’s gender has a great influence in shaping the image of women, as female novelists write interested in self-realization and redress for their entire female gender, and the writer’s gender also affects the way in which women are portrayed within the novelist’s product, and its relationship to society and its cultural, social, political and economic system, which in turn is reflected in the image of the woman. The woman within the novel and her position in society.

مقدمة:

تعد قضية المرأة من أهم القضايا التي شغلت العقول، وملكت القلوب في مختلف المجالات، ويعود ذلك لكونها تمثل نصف المجتمع، فهي" الأم "التي تنجب وتربي وتضحي في سبيل سعادة أبنائها، هي"الزوجة "التي

تساند زوجها وتقف معه في كل صغيرة وكبيرة. كما أن المرأة وقضاياها تأتي كمفردة ودالة وشريك في الفعل الاجتماعي وصنع الواقع وتجلياته.

الأدب في كل أمة هو مرآة عاكسة لتلك الأمة، بكل تفصيلات المظاهر الحياتية والتغيرات السياسية والاجتماعية التي تطرأ عليها، ناقلا إياها أحيانا بشكل مباشر أو من خلال انعكاس تلك المظاهر أو متغيراتها على الأديب خاصة أو على المجتمع وأعضائه بشكل عام .

يُعدّ الاغتراب ظاهرة بارزة لها حضورها الواضح في أدبنا العربي الحديث عامة، إن المرأة وقضاياها هو البداية والنهاية في الرواية، التي تتجسد فيها حياة المرأة في اغترابها وقهرها، وحزنها وقلقها، وفي عذاباتها وطموحاتها، وأساليب مواجهة قهرها واغترابها.

فالنص في لغة السوسيولوجيا ليس منتجاً جمالياً فقط، بل ممارسة دالة، تؤدي أدواراً مجتمعية، إذ يمكن أنْ يكون في خدمة قضية ما أو منقلباً عليها أيديولوجيا، ويشكل عالم الرواية واقعاً خاصاً به قد يتشابه مع الواقع اليومي إلى حد كبير، لكنّه غالباً ما يتجاوزه لما هو أشمل وأعمق وأكثر فلسفة، فالرواية تقدم وجهة نظر عن الواقع بما يشمل من قضايا اجتماعية وسياسية وتاريخية وفكرية، الحياة التي ينتجها الإبداع، ويقولبها الفن، حيث تمزج الرواية بين الخيال والواقع، وتعبر عنه في منظومة لغوية خاصة.

لذا كان لزاما فهم الثقافة التي صنعت تلك الأعمال الأدبية ومنتجات تلك الثقافة وملامحها بغية فك شفرات النص وإيجاد صلات الوصل الرابطة للمنتج الإبداعي بالمرحلة التي أنتجته أو البيئة الاجتماعية والمكانية التي أضفت عليه بشكل مباشر أوْ غير مباشر سمات وثيمات لا نستطيع أن نجرد النص الإبداعي منها مهما ارتفعت فنية النص أو كان خيال المبدع هو الطاغي فيها.

وقد تعددت الآراءُ والدراسات التي حاولت الوقوف على ماهية الثقافة المنتجة للنص الأدبي، واختلفت الآراء، فهي عند ماركس ترتبط بالحالة المادية للمجتمع – البناء التحتي الاجتماعي/ الاقتصادي للمجتمع الذي يشكل طبيعة "البناء الفوقي" أي البنية الثقافية

يرى لوكاش "أنّ القاعدة المادية لا تنتج (البنية الثقافية الفوقية) مباشرة بل هناك سلسلة معقدة من العلاقات في كلّ جزء من المجتمع، منظورا إليه ككيان كلي.

أولاً: إشكالية الدراسة:

شكلّت المرأة عنصرا أساسا في العمل الروائي، حيث ظلّت المرأة في الرواية العربية لعدة عقود تتراوح بين ثلاث نماذج؛ أحدهما المرأة العاشقة والمعشوقة والتي تغنى بها الشعراء، والنموذج الثاني: الأم المناضلة في إطار ثقافي واجتماعي محدد، والنموذج الثالث: ويتمثل في المرأة السلبية المتوارثة التي تسمع وتطيع دون معارضة أو حتى تفكير، وتنقاد لصالح السلطة الذكورية، وتعاني المرأة في النموذجين الثاني والثالث من صور عديدة من القهر والاغتراب، وهذه الصورة تظهر في العديد من الروايات ومنها رواية نساء الريح.

غير أن هذه الصورة قد تغيرت في بعض الروايات وفقا لتطور المجتمع، وتضافر العديد من العوامل في تشكيل وعي المرأة ، وتأثيرها على صلابة شخصيتها. حيث تمكنت النهضة الفكرية والأدبية الحديثة من أنْ تغير كثيرا من المفاهيم وأنْ تعدل النظرة إلي المرأة بعد أنْ استطاعت المرأة أنْ تتجاوز الصورة النمطية المستكينة المقهورة لصالح السلطة الذكورية، وتثبت كفاءتها وتفوقها في كثير من ميادين الحياة ومجالات العمل المهني والعمل العام، وأنْ تشارك بفاعلية في ميدان الثقافة، وعلي الرغم من التطور الذي لامس الحياة الاجتماعية والثقافية، إلا أن بعض النساء عانين من العديد من صور القهر الاجتماعي والاغتراب، هُنّ نساء محبطات قتلت أحلامهن في المهد، واجتثت من عروقها، سُدّت أمامهن معابر الأحلام، وأوصدت أمامهن أبواب الطموح وأغلقت وأحكم إغلاقها.

إنّ قراءة شخصية المرأة في رواية نساء الريح تقتضي النظر للمكونات الخارجية التي شكلت هذه الشخصية، حيث إنّ الرواية من الأعمال التي تعكس الواقع الاجتماعي، والتحولات التي تقع في المجتمع، وهذا الواقع الذي أبرزته الرواية يعكس بعض صور واقع المرأة والذي قد يتمثل في القهر والاغتراب، تراوح الرواية في حكيها بين شخصيات نسائية عديدة لكلّ واحدة منها أحلامها وتطلعاتها، كما لها آلامها ومشاكلها التي تعمل على البوح بها بشتى السبل.

ويحاول البحث الحالي قراءة وتحليل هذه الصور التي أبرزتها وعالجتها الرواية والتي تمثلت معظمها في صور القهر والاغتراب، حيث الرواية تحكي عن الهجرة غير الشرعية، وتحكي قصص شريحة من النساء المغتربات على لسان الخادمة المغربية الشابة بهيجة.

فوفقا ل"تشارلز ديكنز" أنّ رسالة الأدب هي رسالة إنسانية قبل أن تكون اجتماعية أو حتى فنية؛ فالفن إنما موضوع من أجل خدمة الجمهور حتى لو اقتصرت هذه الخدمة على مجرد التسلية، فما بالك لو كانت هذه الخدمة هي الإصلاح الاجتماعي!

ثانياً: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى:

١- التعرف على صور القهر والاغتراب للمرأة التي أبرزتها الرواية.

٢- رصد وتحليل أساليب مواجهة القهر والاغتراب لدى المرأة كما تعكسها الرواية.

ثالثاً: أهمية الدراسة:

تتحدد أهمية الدراسة في جانبين:

١) **أهمية علمية:** وتتمثل في إثراء دراسات علم اجتماع الأدب، حيث يتم مناقشة القضايا الاجتماعية من خلال النصوص الأدبية.

٢) **أهمية مجتمعية:** وتتمثل في مناقشة القضايا الاجتماعية من منظور أدبي، بما يساعد على إبراز القضايا والمشكلات الواقعية، من حيث أسبابها، وأساليب علاجها. حيث رصدت الدراسة صور القهر والاغتراب للمرأة، كما رصدت التفاعلات الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية في سياق أدبي.

رابعاً: منهج الدراسة:

يعاني سوسيولوجيا الأدب من الإقصاء المنهجي، حيث الفهم الاختزالي لمناهج البحث السوسيولوجي التي يحصرها الكثير في الاستمارة والجداول الإحصائية.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لوصف صورة المرأة وتحليلها في رواية نساء الريح، خاصة ما يتعلق منها بصور القهر والاغتراب التي تعاني منها المرأة ومدى قدرتهن على مواجهة صور القهر والاغتراب، وأساليب هذه المواجهة. وذلك أنّ الأدب لا ينفصل عن محيطه، ولا ينظر إلى العالم من برجه العاجي.

ومن رواد هذا المنهج جورج لوكاش الذي ركز في بحوثه على الوظيفة الاجتماعية للجنس الروائي، وناقش من بعده باختين أهمية الأعمال الأدبية في التعبير عن الرؤى الاجتماعية من خلال دراسته للحوارية عند دوستويفسكي.

لذا شكل المنهج الاجتماعي أحد مداخل النقد الأدبي التي "تنظر إلى الإبداع على أنه نتاج اجتماعي إن لم يكن نتاجا جماعيا يتجاوز شخص المبدع إلى الإطار الاجتماعي العام الذي يمارس ضغوطا وتأثيرات شتى في توجيهه الموهبة وانتقاء عناصر البنية القصصية" (فاطمة يوسف العلي ،٢٠١٠، ص١٦) وقد تجلى ذلك في عرض نساء الريح حيث عرض الضغوط والتأثيرات الاجتماعية التي عانت منها شخصيات الرواية، باعتبارها كانت الدوافع للهجرة المكانية، أو الهجرة من السيطرة الذكورية.

لذا نفيد من الدراسات السوسيولوجية لتحليل النص السردي من خلال البحث عن العلاقات الناشئة بين النص من جهة والمجتمع من جهة أخرى.

خامساً: مفاهيم الدراسة:

(١) مفهوم القهر الاجتماعي:

يقصد بالقهر الاجتماعي في هذه الدراسة الظلم الممنهج والمنتشر والمتكرر، والاضطهاد والبؤس اليومي للمرأة في الحياة العادية ، والاضطهاد المتأصل في الأعراف والعادات والتقاليد والبيئة الاجتماعية التي تحمل صور الظلم والقهر ضد المرأة، سواء أكان هذا القهر نتيجة الطبقة الاجتماعية أو الجنس أو الدين أو المهنة، وينتج عن ذلك أحكام متحيزة ضد المرأة.

(٢) مفهوم الاغتراب:

يتمثل مفهوم الاغتراب في هذه الدراسة في شعور المرأة بأنها منفصلة عن المجتمع، وغير قادرة على الاندماج في المجتمع، كما أنها لا تستطيع أن تؤثر في المحيط الاجتماعي والسياسي بها، ويمكن أنْ يرجع

ذلك إلى أنها فقيرة أو كونها امرأة، أو كونها تعيش بعيداً عن وطنها، أو تعاني من ثقافة ذكورية تعلي من الرجل على المرأة.

سادساً: محاور الدراسة:

تشتمل الدراسة على المحاور التالية:

١- رزان مغربي ونساء الريح.

٢- مفهوم الاغتراب.

٣- مظاهر الاغتراب في رواية نساء الريح.

٤- أساليب مقاومة الاغتراب في الرواية.

المحور الأول: واقع رزان مغربي ونساء الريح:

رزان نعيم المغربي(١٩٦١) هي أديبة ليبية بدأ نشر نتاجها الأدبي سنة١٩٩١م في الصحف وحاليا تعمل لصالح صحيفة ثقافية تحمل اسم آفاق، مؤلفاتها تتنوع بين القصص القصيرة والروايات و الشعر، صدرت رواية نساء الريح لأوّل مرة عام٢٠١٠ عن دار ثقافة للنشر والتوزيع، بالاشتراك مع منشورات الاختلاف في الجزائر العاصمة، ودخلت في القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية لعام ٢٠١١، المعروفة باسم «جائزة بوكر العربية"

أنّ رواية (نساء الريح) لرزان مغربي هي أول محاولة حقيقة لاقتحام عالم الرواية بتقنياتها الحديثة، وتفرّدت نساء الريح بأنّ الروائي فيها امرأة ... روائية إذا و الراوي امرأة، وبطلاتها أيضاً نساء.

وأرادت رزان نعيم المغربي أنْ تكون أكثر ارتباطا بالواقع وبالسياق التاريخي الاجتماعي فعكست التغيرات التي طرأت على المجتمعات العربية المعاصرة، وأبرزت الأزمات التي تعاني منها هذه المجتمعات من أزمات؛ اقتصادية وسياسية واجتماعية وفكرية وتشهد في نفس الوقت تغييرا في نمط العيش وفي طبيعة الحياة اليومية، إضافة إلى الحراك الطبقي وهو ما أثّر على تغير بنية الوعي باعتبار أنّ الواقع (البنية التحتية) تؤثر على الوعي (البناء الفوقي) وفقا لرؤية ماركس.

إن رزان نعيم المغربي في روايتها ''نساء الريح'' جعلت الرواية تفكِّر في ذاتها من داخل الرواية، أي أنها لجأت إلى إنتاج خطاب حول الرواية ضمن متن الرواية (من شخصيات الروية).

يجب أن تُسخّر الأديبة قلمها في طرح قضاياها، وفي المطالبة بحقوقها كون المرأة المثقفة وحدها القادرة على انتزاعها؛ لأنّ الحرف لا يعترف بالمسافات، ولا يخضع للجنسيات، ولا يتوقّف عند الحواجز، وهو ما يتجلى في الأعمال الأدبية.

حيث تروي " نساء الريح" قصة حياة خادمة مغربية تطلب مساعدة النساء اللائي في حياتها لجمع ما يكفي من المال بغية الهرب على متن سفينة من سفن البحر الأبيض المتوسط قبل أنْ تذهب البطلة في رحلتها

الصعبة، هذا الهروب للمرة الثانية بعد أنْ هربت من المغرب إلى ليبيا لمواجهة الفقر والقهر، واستعدادها وعزمها على الهروب الكبير – غير الشرعي– وغير الآمن– إلى أوروبا.

إن حلم الهجرة هو نتاج ممنوع، وهو رد فعل أمام غلق الأبواب أمام الهجرة الشرعية والسياسة التي تبنتها أوروبا في هذا المجال والتي كانت لها آثار عكسية حيث زادت من وتيرة الهجرة السرية، وجعلت كلفتها باهظة بالنسبة لمشروع الهجرة، وهكذا أصبحت الهجرة مشروعاً مكلفاً واستثماراً يقتضي تعبئة مصادر التمويل من أجل تحقيقه.

ويستوحي الروائي خواطره من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ويتأثر بمؤثراتها، ويعبر الروائي عن هذا الواقع بلغته باعتبارها وسيلة للتفاهم والتعبير عن هذا الواقع ورؤية وتعبيرات الروائي، حيث لايكتب الروائي من فراغ بل يعبر عن مجتمعه من خلال بناء الرواية، وترى الباحثة أنّ هناك علاقة قوية بين بنية الرواية وبنية المجتمع، حيث تعبر الرواية عن الأفراد والجماعات والظواهر الاجتماعية، والعوامل المنظمة للعلاقات والتفاعلات بين الأفراد والجماعات. ولاشك أنّ القهر الاجتماعي الذي تعاني منه المرأة في رواية نساء الريح كان نتائج للاستقطاب الطبقي، وعدم قدرة المرأة على العيش الكريم في ظلّ تعدد الضغوط الاجتماعية والاقتصادية.

وتشير الكاتبة إلى صور القهر والاغتراب التي تعاني منها المرأة بقولها " اكتشفت أن عالم الهجرة هو آلاف البشر الذاهبين إلى مصير مجهول في الحياة.... وأسأل نفسي: بأي قدر من الشجاعة والقوة يتحلون؟."

ولعلّ التفات الكاتبة (الشخصية الروائية) إلى مثل هذه القضايا وطرحها ينبع من معاناتها وانشغالاتها بالحياة وهموم الناس خاصة معاناة المرأة، ومن رغبة في الإبداع عن طريق كتابة أشياء متميزة.

المحور الثاني: النساء في رواية نساء الريح:

١-**بهيجة:** مغربية من الطبقة الكادحة بطلة الرواية والروائية في الآن معاً. بهيجة تحقق المهاجرة حلمها، فتُدلي بكلّ ما لديها من تجارب، وتفرغ ما ضاق به صدرها من حكايا إلى (آلة التسجيل) في شكل من أشكال الترويح عن الذات.

٢– أم فرح : عراقية لها ولدان في بغداد يعملان هناك بينما زوجها خريج الهندسة من جامعات إنكلترا _ وأم فرح قد هاجرت إلى ليبيا نتيجة عدم توفر الأمن وضيق العيش حيث أخبرهم بعض الأصدقاء أنّ ليبيا بلد واسع الخيرات، وأهلها كرماء، وإدارتها متساهلة مع الغرباء وقالوا إن كلّ من ذهب إليها عاد ومعه ثروة.

على الرغم من أنّ أم فرح قد هاجرت من موطنها إلى ليبيا، إلا أنّها كانت إيجابية في رفض مافيا الهجرة السرية، (الذعر بدا واضحاً على ملامح وجهها لا يمكن هذه مقامرة أنت تبيعين روحك لاثنتين من النساء اللاتي يعملن بالنصب هل دفعت لهن المال؟ هل قابلت الرئيسة أم الوسيطة؟

٣-**هدى:** تقطن عمارة مطلة على البحر وسط طرابلس، وهي لا تقيم علاقات اجتماعية مع جميع السكان لظروف زواجها شبه السري، كانت أطوارها شديدة الغرابة، لم تكن سوى الزوجة الثانية لعادل (الرواية، ص٢٨)

٤- **يسرى**: امرأة متزوجة تحكي عن علاقة خارج الزواج، وتعتبرها حقاً طبيعياً في الحياة، وأنْ ماتفعله لا إرادة لها فيه، بل هى مسلوبة تماماً "هذا تعبيرها الدقيق عن مشاعرها".

امرأة متزوجة تعشق رجلاً أعزب ثرياً يعمل في منصب كبير، تطارده من مكان إلى آخر.(الرواية ، ص٧٣)

٥- **سومة**: كانت يتيمة الأبوين تقيم في حي (بن عاشور) وتبحث عن الخلاص والمساعدة .(الرواية ، ص٩٦). فيما هى غارقة في عدة تجارب عاطفية فاشلة فخسرت رمز طهارتها بنظر هذا المجتمع.

٦- **صفاء**: زوجة عادل المدللة ، التي تزوج زوجها عليها هدى زواجا سريا، وهى تعلم ، ويمنعها كبريائها ووضعها الاجتماعي من مواجهة الموقف.

المحور الثالث: القهر والاغتراب لدى المرأة في رواية نساء الريح:

يتم مناقشة القهر والاغتراب والمشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المرأة في رواية نساء الريح حيث يرى بيير زيما أنّ علم اجتماع النص يسعى إلى الوصول إلى حقيقة تفاعل النصوص مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى النص؛ أي الاهتمام باللغة والتراكيب اللغوية والبحث عن القضايا الاجتماعية الكامنة في اللغة. لذلك حاول " زيما " الوصول إلى الإجابة عن السؤال التالي : كيف تعبر اللغة عن قضايا المجتمع؟ وكيف نتعرف على هذه القضايا من خلال اللغة؟(بيير زيما : ١٩٩١، ص١٧٢).

يتخذ القهر الاجتماعي أشكالاً متعددة فهناك القهر عبر الحرمان، وهناك القهر عبر الإقصاء، وهناك القهر عبر التهميش، وهناك القهر عبر الجهل، وهناك القهر عبر نشر الخرافات. و"القهر الاجتماعي" أو "الظلم الاجتماعي" سببان مباشران لكثير من السلوكيات الخطيرة التي تشكل بمجموعها ما نستطيع تسميته بـ"مجتمع المقهورين"، الذين يسعون إلى إثبات "الأنا الشخصية" بأية طريقة، وبأية وسيلة مسموح بها، أو غير مسموح بها.

مما يزخر به المجتمع العربي من نماذج للتخلف والقهر الاجتماعي الذي تمثل فيه النساء والأطفال الضحية الأولى، وقد ينظر البعض إليها على أنّها مجرد أرقام، ولكنّ الحقيقة هي أنها تعكس طرائق التفكير في المجتمع العربي والنظرة الدونية تجاه النساء والأطفال وأسلوب التعامل معهما.

عانت المرأة في مجتمعنا من اضطهاد مزدوج فمن جهة سيطرة الرجل على شؤون حياتها وتسييرها وفق مشيئته ومصادرته لجميع حقوقها الشخصية والاجتماعية، ومن جهة أخرى سلطة المجتمع التي تنتقص من مكانة المرأة وتفرض عليها وضع كائن من الدرجة الثانية ناقص الأهلية تعيش وتتحرك تحت إمرة ووصاية الرجل.

وأبرزت الرواية قهر المرأة وذلك باعتبار المرأة العنصر الأشد تلقيا للظلم والقهر في المجتمع، وهي أوضح مثالا للإنسان المقهور، معتبراً القهر آلية لتدمير الذات الإنسانية.

فالفقر مثلاً يُعتبر انعكاسا صارخاً لانعدام العدالة الاجتماعية بين الطبقات، فيُولِّد رفضاً للقيم والأخلاق الاجتماعية التي يُؤمن بها الغالبية العظمى من أفراد النظام الاجتماعي .

وقد وضعت الكاتبة شخصيات الرواية في علاقات متشابكة ، وقد وضعها القدر إلى الوجود في معترك الحياة لتقف وجهًا لوجه أمام مشكلات الحياة بكل تناقضاتها.

إن لجوء بعض الأنظمة الحاكمة في الوطن العربي إلى القهر الاجتماعي، ناتج أساساً من عجز هذا النظام في سد وإشباع حاجات الفرد (المواطن) إشباعاً يتناسب مع كرامة الإنسان وحقه في العيش الكريم الرغيد .

فالإنسان المقهور هو ذاك المغلوب على أمره، الذي تعرض لفرض السطوة عليه من قبل المتسلط عنوة. وأما في تعريف التخلف الاجتماعي فيتمثل القهر في فقدان السيطرة على المصير إزاء قوى الطبيعة وقوى التسلط في آن معاً .

فالمرأة في الوطن العربي محط إسقاطات الرجل السلبية وصور معاناته، حيث يتهرب الرجل من مأزقه بتحميل المرأة كل مظاهر النقص والمهانة التي يشكو منها في علاقته بالنظم.

وتختلف ملامح القهر المُسقَطة على المرأة من مجتمع لآخر، ومن طبيعة بيئية لأخرى، نجد أقصاها يُمارس في المجتمعات القبلية، بينما تأخذ أشكال وملامح القهر للمرأة في المجتمعات الحضرية مستويات عدة حسب المستوى الاجتماعي الذي نشأت فيه.

أثّر الفقر بشكل كبير على خفض مستوى معيشة النساء وجعلهن يواجهن عدة صعوبات اجتماعية واقتصادية، توجد علاقة وثيقة بين الفقر و النوع الاجتماعي و خاصة حين انكشاف محدودية قدرة النساء على الحصول على فرص متكافئة في العمل وفي الأجور والمناصب.

وينظر علماء الاجتماع إلى الفقر على أنه مشكلة اجتماعية تحول بين الإنسان وتحقيق المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرغوب به حيث إنه في مجمله يوضح عدم قدرة فئة نحو تحقيق حاجاتهم نتيجة لتعقد البناء الاجتماعي، فهو حالة من الحرمان من الحياة اللائقة التي يتطلع الفرد أو المجتمع الى التمتع بها والفقر لا يعنى الافتقار إلى ما هو ضروري لتحقيق الرفاهية المادية للفرد، ولكنّه يعنى أيضا الحرمان من الحصول على دخل لائق والتمتع بالكرامة والاحترام (محرم وآخرون،٢٠١٢ ، ص ١٩٥) .

وتأخذ ظاهرة الفقر أبعادا عديدة يمكن التطرق إلى بعدين أساسيين هما فقر الدخل وهو عدم كفاية الموارد لتأمين الحد الأدنى من مستوى المعيشة المناسب اجتماعيا، والبعد الأخر هو فقر القدرة أى تدنى مستوى قدرات الفرد إلى حد يمنعه من المشاركة في العملية التنموية حيث الفقر ظاهرة يغلب عليها الطابع النسائي (عليوات، إبراهيم ،٢٠١٢ ، ص٢).

وتعرض الرواية قصة حياة خادمة مغربية تعاني من الفقر تطلب مساعدة النساء اللائي في حياتها لجمع ما يكفي من المال بغية الهرب على متن سفينة من سفن البحر الأبيض المتوسط، قبل أنْ تذهب البطلة في رحلتها الصعبة، نكتشف قصص النساء اللواتي ساعدنها، بدءًا من العراقية التي تؤدي دور الوسيط بينها وبين المهرّبين في البحر، مرورًا بكاتبة، وصولًا لفتاة صغيرة تخلّت عنها والدتها.

وتصف الرواية بعض صور المعاناة التي يواجهها المواطن العربي بشكل عام، و تعزو رزان أسباب الهجرة غير الشرعية إلى حياة القهر والاغتراب حيث أوضاع اقتصادية أجملتها في ضيق العيش، وضياع الأحلام، وتبدد الطموحات؛ متجاهلة حياءً أو خوفاً أو ربما حنكة وذكاء، "الخيارات المتاحة في العراق أو غيرها جميعها تؤدي إلى الهلاك".(الرواية، ص ٩٥)

تنقل إلينا رواية نساء الريح صوراً واقعية تصور حال هؤلاء الضحايا الذين يقعون تحت وطأة مافيا الهجرة غير الشرعية "صعقت أم فرح وبدا الذعر واضحاً على ملامح وجهها :لا يمكن، هذه مقامرة، أنت تبيعين روحك لاثنتين من النساء اللواتي يعملن بالنصب، هل دفعت لهما المال؟ هل قابلت الرئيسة أم الوسيطة؟."

اكتشفت أم فرح أن عالم الهجرة هو آلاف البشر الذاهبين إلى مصير مجهول في الحياة

ومرة ثانية أراهم ذاهبين نحو الموت انتحاراً، وأسأل نفسي: بأي قدر من الشجاعة والقوة يتحلون؟." إنها ملحمة، تجسد مأساة كثير من الناس".

وتعبّر رزان المغربي على لسان بطلتها عن مشاعر الذلّ والهوان التي تسيطر على المهاجرين ساعة اقتراب موعد الرحيل تقول: نساق كما تساق الماشية إلى حظائرها أو حتفها لا ندري . (الرواية ، ص٣٠)

وتصف لنا البطلة بهيجة معاناتها في سبيل تحقيق ما تصبو إليه إذ كان عليها أن تبحث عن عصابة النساء السماسرة (الرواية ، ص١٨)، فالهجرة السرّية لم تعد حلما ذكوريا ومشروعا يخصّ الرجال القادرين على خوض معترك البحار، لقد أضحت الهجرة قضيّة تشغل بال النساء، خاصّة بعد استشراء ثقافة الحريق أو الحرقان، في إشارة إلى «حرق» المهاجرة أوراق الهوية وجميع المستندات في المركب أملاً في الحصول على هوية جديدة.

وتصف صورا من معاناة الرحلة وقدرتها على تحمل هذه المعاناة "دوامة بحرية تحمل رائحة الأسماك المتفسخة مختلطة برائحة الأقدام المتسخة والبول الذي لا يمكن أن يجف في قعر المركب، ودخان السجائر الملتوي .... كما الخوف يرجح كفة الصحو في ذلك الجو الخانق الكريه، ويبعث الشعور بحريق يلتهم أجفانها، مع اهتزازات المركب الشديدة من كل اتجاه تأرجحت بين كل تلك المشاعر. (الرواية، ص٦٣)

فإذا كانت كل من بهيجة وأم فرح امرأتين غامرتا بنفسيهما وخاضتا غمار البحر في ظروف غير آمنة وتخلو من كل شرط إنساني سوي، وجربتا معاناة الهجرة في زوارق الموت، وتعرضتا للابتزاز(حالة أم فرح) أو التحرش الجنسي (الفتاة وبهيجة) أو الموت (المرأة التي هاجرت في القارب وألقيت في البحر).

وتقول " أنا سمعت عن رحلات تم اغتصاب النساء فيها على مرأى من أزواجهن، بل هناك من حاول الاعتراض أو الدفاع وكان مصيره الغرق في البحر(الرواية، ص٩٤)

وتتجلي أكثر صور المعاناة عندما تقول "ندخل أوروبا جثثاً أحياء كنا أو أمواتاً سيان، نحن مجرد جثث متحركة تتنفس، تأكل، تشرب". (الرواية، ص٩٥)

ورغم إدراك هذه المعاناة التي يتحملها المهاجرون، إلا أنّ النساء أقبلن على هذه التجربة (تجربة الموت) فراراً من قهر المجتمعات العربية، وأيضاً قهر المرأة العربية، حيث المجتمع الذكوري.

لقد حملت رواية " نساء الريح " في طياتها عددًا من الأسئلة الناقدة لكثير من المواقف؛ لتبرز صور الاغتراب حيث تتسائل الكاتبة ‘‘أسأل نفسي بصوت عال: لماذا يصمتون؟ لماذا يخجلون الانتماء إلى أوطانهم؟ لماذا لايكرّرون خوض تجربة جديدة على أرض وطنهم إذا ماخذلهم مرة؟ لماذا لايستحق الوطن أنْ نعيد معه الكرّ والفرّ؟ هل الهروب أسهل من المواجهة؟ أم أنّ المواجهة أرحم، ومواجهة الصلف الأوروبي أقلّ قسوةً؟’’

وهذه الأسئلة على قدر تبرز أوضاع المهاجرين وفشلهم في أوطانهم وعدم قدرتهم على مواجهة الاغتراب في أوطانهم، ربما لأنهم أصابهم اليأس والإحباط، ربما لاعتقادهم أن التجربة في أوروبا أقل قسوة من إعادة التجربة في الوطن، هذا الوطن قهرهم بدرجة كافية حتى أنهم اصبحوا يخجلون من الانتماء إليه، فإذا كان الوطن يستحق من وجهة نظر الكاتبة فإنه لايستحق من وجهة نظر المهاجرين.

إن قارئ رواية "نساء الريح" يكتشف أن أغلب نساء الرواية تعانين من الاغتراب على مستويات متعددة ، فقد تبدو مظاهر الاغتراب عليها واضحة جلية حينًا كما في حالة بهيجة ، وقد تكون تلك المظاهر أقل وضوحًا أحيانًا أخرى كما في حالة يسرى والشقرا.

أشارت بعض الدراسات إلى أن الاغتراب **Alienation** يتساوى مع المظاهر المرضية الاجتماعية Social pathology مثل الجريمة والانحراف، بل إن الاغتراب يمكن أن يُعتبر باختصار شديد الجانب الاجتماعي للقلق Social version of anxiety، إنه مصطلح شامل لكل من أعراض وأسباب السلوك الذي يكون غير مناسب للضحية والمجتمع، كما يُفضل أن ينظر إليه على أنه ظاهرة مركبة الأسباب والأعراض والنتائج، وأنه يمكن تحديد هذه الظاهرة في نظام المجتمع والجماعة والفرد (Chen, Kevin,1992) .

أما "دوركايم E. Drkiem " فإنه يرى أن الاغتراب الاجتماعي ينشأ عن الأنومي Anomie ويظهر ذلك في الأوضاع الاجتماعية التي تنعدم فيها المعايير الضرورية لضبط سلوك الأفراد (قيس النوري ، ١٩٧٩م، ص١٧).

ويرى هيجل ضرورة اغتراب الإنسان، إما عن ذاته أو عن مجتمعه، فهو يسير عبر مراحل نموه، من الاغتراب الاجتماعي إلى الاغتراب الذاتي (ريتشارد شاخت، ١٩٨٠، ص٣٥-٣٧)

يعد الاغتراب ظاهرة بارزة لها حضورها الواضح في أدبنا العربي الحديث عامة، وفي الرواية خاصة، فقد جمع العصر بين كثير من المتناقضات التي نتج عنها أزمات مختلفة : سياسية، واجتماعية، وفكرية، وأخلاقية ، أدّت إلى حدوث صدمة هزّت المبدع العربي ، وكان لها تأثيرها البالغ عليه، فعكست التجربة الأدبية ألوانًا من الشك والقلق المسيطر على الإنسان، كما عكست صورًا من انعدام الثقة لدى المبدع في واقعه .(أبو شاويش، عواد، ٢٠٠٦ ، ص ١٢٢)

الاغتراب قديم قدم الإنسان، ويمكن القول بأنّ الاغتراب يشير إلى الغربة المستمرة التي لم يمكن تجنبها عن الأفراد والأفكار والأشياء التي يخبرها الإنسان خلال حياته.

الاغتراب عند ماركس هو انفصال بين العامل وما ينتج، وانفصال بين حالة الإنسان الواقعية وما يجب أنْ يكون عليه، وهو انفصال بينه وبين الظروف المحيطة به والتي تسبب له الإحباط، والاغتراب أيضاً ظاهرة اجتماعية تظهر في سياق العلاقات الاجتماعية

كما يرى دوركايم KHEIM أنه ينشأ عن الأنومى Anomie ويظهر ذلك في الأوضاع الاجتماعية التي تنعدم فيها المعايير الضرورية لضبط سلوك الأفراد، ويسهم في هذا الصدد أيضاً روبرت ميرتون MIRTON حيث تعرض لسعى الأفراد إلى التوائم مع الظروف المجتمعية التي تخلو من المعايير الاجتماعية(قيس النورى، ١٩٧٩، ص ١٧).

ولذلك تفضح الرواية زيف الطبقة البرجوازية (السيد عبد الحميد) واستغلالها لفقر وحاجة بعض النساء الفقيرات، وعجز وانهزامية الطبقة الفقيرة(بهيجة).

تناول "سيمان" مفهوم الاغتراب من الناحية الاجتماعية، وظهر في بحثه المعروف حول معنى الاغتراب، خمسة معان أو أبعاد للاغتراب وترضها الباحثة بالتطبيق على رواية نساء الريح، وما أبرزته الرواية من صور الاغتراب والقهر التي تعاني منها المرأة العربية، وتتمثل هذه الأبعاد في:

أ) **فقدان السيطرة أو حالة اللاقدرة** (Power lessness) وهذا المعنى للاغتراب يشير إلى شعور الفرد بأنّه لا يستطيع التأثير على المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها، فالفرد المغترب هنا لا يتمكن من تقرير مصيره أو التأثير في مجرى الأحداث الكبرى أو في صنع القرارات المهمة التي تتناول حياته ومصيره فيعجز بذلك عن تحقيق ذاته.

ووفقا لرواية نساء الريح فإنّ الراغبات في الهجرة نساء يعشن على هامش المجتمع، و لا يملكن السيطرة على الواقع فهنّ مطلقات وأرامل عوانس وزوجات مكسورات الخاطر وحوامل، وهنّ من جنسيات مختلفة عراقيات ومغربيات يختلطن ببقية المهاجرين الجزائريين والتونسيين والمصريين و الأفارقة..... هؤلاء النسوة ليس لديهن القدرة على تعديل ظروفهن بأساليب شرعية، حيث أنهن لا يمتلكن الفعل أو التأثير أو السيطرة على هذه الظروف.

وتقول نوال السعداوي " إن اضطهاد المرأة لا يرجع إلى الشرق أو الغرب أو الإسلام أو الأديان، ولكنّه يرجع أساسا إلى نظام الطبقية الأبوية في المجتمع البشري كلّة(وائل الصمادي ،٢٠١٠، ص ٥٥)

والنساء في رواية نساء الريح هنّ نساء محبطات قتلت أحلامهن في المهاد، اجتثت من عروقها سُدّت أمامهن معابر الأحلام، وأوصدت أمامهن أبواب الطموح وأغلقت وأحكم إغلاقها بيد ذكورية. نساء الريح صُودرت ذواتهن فودعن الأحلام والحياة البسيطة الهادئة التي تنفث سموم الموت البطيء داخل أجسادهن البائسة. والعلاقات غير المشروعة أو الهجرة السرية تمثل سلوك غير اجتماعي Anti–Social Behavior : وهو الانحراف عن المعيار الاجتماعي للسلوك، ووقد يكون هذا السلوك ناتجا عن حالة الإحباط التي سببتها الجماعة للفرد". والمعيار السلوكي هو قاعدة سلوكية مقبولة بدرجة أو بأخرى من كلّ أعضاء المجتمع، ويتحول

مع الوقت من صورة الإجبار الخارجي إلى التمثل الذاتي. وسلوك الانصياع هو سلوك غالبية أفراد المجتمع، وذلك لضمان استمراره، ولكنّه لا يعني مجرد الخضوع الظاهرة للأوامر، بقدر ما يعني الاقتناع بأهمية إطاعة الأوامر وتطبيق القوانين(جون دكت، ٢٠٠٢، ص ٥٦–٥٧).

ب) **اللامعنى أو فقدان المعنى** (Meaning lessness) وهنا يعني الاغتراب شعور الفرد بأنّه يفتقر إلى مرشد أو موجه للسلوك والاعتقاد، والفرد المغترب هنا يشعر بالفراغ الهائل نتيجة لعدم توفر أهداف أساسية تعطي معنى لحياته وتحدد اتجاهاته وتستقطب نشاطاته.

حيث كانت النساء يسعين للتخلص من حياة القهر، حيث لا توجد أهداف واضحة للحياة، ولامعنى لها في ظل القهر والاغتراب والمعاناة.

" أقامت بهيجة عدة سنوات في منزل السيد الليبي الثري عبد المجيد ثم طردت دون أن تعرف سبباً قوياً يجعلهم يستغنون عن خدماتها(الرواية،ص٢٨).

ج) **اللامعيارية** (Anomie) أو (Normlessness) وهنا يعني الاغتراب شعور الفرد بأنّ الوسائل غير المشروعة مطلوبة، وأنّه بحاجة لها لإنجاز الأهداف، وهذه الحالة تنشأ عندما تتفكك القيم والمعايير الاجتماعية وتفشل في السيطرة على السلوك الفردي وضبطه.

وقد عانت النساء من عدم وجود وسائل مشروعة لإشباع حاجاتهن سواء حاجات اقتصادية أو اجتماعية، وهو ما دفع البعض إلى اللجوء لوسائل غير مشروعة لإشباع احتياجاتهن.

ويتضح ذلك في زواج عادل من هدى كزوجة سرية تشبع رغباته، مع علم صفاء وتجاهلها، حيث تقبل أن تكون هدى زوجة في السر، بما يحافظ على وضعها الاجتماعي الذي يمكن أنْ ينهار لو واجهت الموقف. قبول زواج الزوج من امرأة أخرى مع مصادقتها...دون إظهار المعرفة .. ويمكن أنْ يحقق ذلك أهداف الأطراف الثلاثة (صفاء وعادل وهدى) في إطار لا يتفق ومعايير المجتمع، "إنها تحسب خساراتها قبل ربحها، لو أنها أعلنت الغضب والمعرفة بالزواج فستكون اجتماعياً الزوجة الأولى المقهورة والمغبونة، وهي لا ترتضي الاعتراف بذلك" (الرواية ، ص١٠٣)

وتتضح صور اللامعيارية في مشهد آخر، حيث تقول يسرى – المتزوجة– أنها تعشق كمال رغم أنه بخيل وأنها متزوجة ، وتقيم علاقة أيضا مع منير "كمال رجل بخيل جداً لو أنني قارنته بكل من عرفتهم حتى بزوجي الذي ما عرفته إلا كريماً معي يقدم لي الهدايا دون مناسبات، ومنير أيضاً، بالأمس فقط طلبت منه مبلغاً وذهبت لشراء هدية لكمال، اخترت له ساعة ثمينة سأقدمها بمناسبة مرور عام على أول لقاء لنا!" (الرواية ، ص١٠٦)

وتسأل الكاتبة نفسها " كيف تفكر هذه المرأة التي تعدت علاقاتها أكثر من رجل، علاقات بالهاتف وأخرى عابرة وغيرها في بيوت الأصدقاء، وكمال، ولا تريد الاعتراف بأنها تخون زوجها، (الرواية، ص١١٠)

وتبرز يسرى اللامعيارية في أشد صورها "أفكر هل من المهم لو أخبرتك أن والدي تحرش بي؟" (الرواية ، ص٨٨) . وتتضح هذه العلاقات غير المشروعة في علاقتها بكمال عندما يقول لها" سأجعلك تثملين دون أن

تشربي كأسا واحدة، سأجعلك ترتفعين عن الأرض من فرط السعادة، امتدت يده إلى أسفل بطني يحاول مداعبتي .....(الرواية، ص١١٥). ولاشك أن هذه العلاقات غير المشروعة تعكس اللامعيارية وحالة الانفلات الأخلاقي التي تعيشها نساء الريح.

أن السلوك غير الاجتماعي هو كل سلوك يصدر عن الفرد ويقابل بالرفض أو الاستنكار أو التحريم من قبل المجتمع الذى يعيش فيه الفرد، وقد يعزى السلوك غير الاجتماعي لسوء التوافق الاجتماعي لدى الفرد والذى ينتج عن عدم قدرته على الامتثال لقيم ومعايير المجتمع لأسباب ترجع إلى تكوينه الشخصي وأسلوب التنشئة، أو إلى خلل في البناء القيمي للمجتمع الذى يعيش فيه ،كما سيرد عند عرض بعد "سوء التوافق الاجتماعي" **Social** maladjustment.

كما تتضح اللامعيارية أيضاً في الهجرة غير الشرعية حيث ينتهك الراحل القوانين والتشريعات التي تسمح له بالتنقل ويخالف النظم الدولية المتعارف عليها بطلب تصريح دخول أو فيزا لتشريع الإقامة أو تصريح العمل.

د) **الانعزال الاجتماعي أو حالة العزلة واللاانتماء**(Social Isolation) والاغتراب هنا يشير إلي شعور الفرد بالغربة والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، وفي هذه الحالة لا يشعر الفرد بالانتماء إلى المجتمع أو الأمة.

يؤثر الواقع الاجتماعي في ظهور الاغتراب تأثيراً واضحاً من خلال تأثيره في الفرد نفسه، فينشأ الاغتراب غالباً عندما يكون الواقع الاجتماعي في صورة مخالفة لما يتمناه الفرد أو يرغب فيه، أي عندما توجد فجوة بين الواقع وما يجب أن يكون. يرى **قيس النوري** أن العزلة الاجتماعية هي انفصال الفرد بقيمه وأفكاره عن تلك التي تسود المجتمع، حيث يعانى من غياب العلاقات الحميمة والمساندة والدفء العاطفي بينه وبين الآخرين(قيس النورى، ١٩٧٩).

و تتساءل الكاتبة ''أسأل نفسي بصوت عال: لماذا يصمتون؟ لماذا يخجلون الانتماء إلى أوطانهم؟ إن كانوا قادرين على تكرار الهجرة بعد فشلها، بالرغم من الموت، لماذا لا يكررون خوض تجربة جديدة على أرض وطنهم إذا ما خذلهم مرة؟ لماذا لا يستحق الوطن أن نعيد معه الكر والفر؟ هل الهروب أسهل من المواجهة؟ أم أنّ المواجهة أرحم، ومواجهة الصلف الأوروبي أقلّ قسوةً؟'' يتداخل الاغتراب الاجتماعي مع العديد من الظواهر الاجتماعية الأخرى، فهو الوجه السلبى للانتماء، وهو نتيجة فقدان أو تشويه الهوية القومية، وهو أيضاً نتيجة للتغريب وتمثل ثقافة الغرب أو أي ثقافة غريبة أخرى.

وتتجلي صور اللانتماء في التخلي عن الهوية "إذا وصلنا الشاطئ الآخر علينا أن ننسى لغتنا أيضاً ونكفر بعاداتنا وتقاليدنا" (الرواية، ص٩٥)

وتتسأل الكاتبة نفسها بصوت عال " لماذا يصمتون؟ لماذا يخجلون من الانتماء إلى أوطانهم؟ (الرواية، ص١٢٤). ولعلّ الكاتبة تذكر في مواقع أخرى إجابة لهذا التساؤل، حينما تذكر القهر والفقر والحرمان وبعض صور الاغتراب التي يعاني منها البعض في مجتمعاتنا العربية.

الانتماء أمر طبيعي، وظاهرة ضعف الانتماء هي طارئ عابر يحدث كنتيجة لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، وإذا ضعف انتماء المواطن لشعوره بنقص في العدالة أو الحرية أو لعدم تلبية احتياجاته، فإنه يعود لانتمائه متى انتفت أسباب عدم الانتماء.

هـ)الاغتراب الذاتي أو النفور من الذات (Self-Estrangement) وهنا يشير الاغتراب لشعور الفرد بعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافئة ذاتياً، بمعنى أن الإنسان لا يستمد الكثير من العزاء والرضى والاكتفاء الذاتي من نشاطاته ويفقد صلته بذاته الحقيقية ويصبح مع الزمن مجموعة من الأدوار والسلع والأقنعة، ولا يتمكن من أن يشعر بذاته ووجوده إلا في حالات نادرة (Seeman, Malvin, 1959.,p. 98) . تدور كل معاني الاغتراب الاجتماعي حول فكرة رئيسة هي الانفصال بين الذات والآخر مع تعدد أشكال هذا الآخر، فقد يكون العمل والعلاقات التي تحكمه، أو المجتمع ومعاييره وقيمه، أو الأفراد المحيطين بها.

"أن ما قادها إلى تلك المهمة الانتحارية لتنقذ نفسها من الذل، لم يكن لأن خدمة البيوت تذلها بمقدار ما ترى من عذابات من حولها تجعل تلك النساء يضطهدنها" (الرواية، ص٩٥) "في قرارتهم يعرفون أنهم مجرد أناس مهمشين" (الرواية، ص٢٧)

تقف الرواية عند تجليات الاغتراب والتوزع لدى الإنسان المعاصر، وكأنها تقول لنا: "الكل مهاجر مغترب، ولكل هجرته الخاصة، سواء كانت هجرة إلى: المال أو الحب أو الشهرة، أو المتعة، أو الوهم، أو تحقيق العيش الكريم". ومن ثم، فإن جل الشخصيات النسائية في الرواية، لا تسلم من نوازع رحيل وحلم بتغيير الحياة نحو أفق آخر.

فالثقافة السائدة ثقافة ذكوريّة تقوم علي التمييز بين الرجل والمرأة، وتدفع بالمرأة إلي التغرب عن واقعها وإغرائها بالوقوع تحت هيمنة ثقافته لتتقبل قيمه وسلوكه ،ونظرته للحياة.

فالمرأة بسبب ميراث طويل من الإهمال والجهل والأمية وسطوة التقاليد كانت معاناتها أشد وأقسى من معاناة الرجل.

الهجرة التي قامت بها المرأة وطمحت إليها، ليست هجرة على الحقيقة، وإنما هي حالة 'تهجير' قسري للذوات عن حقيقتها الإنسانية وعن شروط حياتها الكريمة الطبيعية العقلانية؛ حيث أحياناً ما يكون الرحيل من مكان إلى مكان آخر سبيلا لتجدد الأمل وتحسين مستوى الحياة والتخلص من حياة البؤس (حالة بهيجة وأم فرح والبواب رضا...)، أو عن طريق الطمع في الانغماس في ملذات الحياة والمتعة الجسدية ، وتحقيق أهداف غير مشروعة بصور غير مشروعة عن طريق آليات العصر من صراع ومكر وخداع (حالات هدى ويسرا والشقرا وزوجة السيد عبد المجيد والسيد عبد المجيد وكمال ومنير...). مجموعة النسوة من هدى، صفاء، الشقراء، يسرى، والكاتبة. وتنضم إليهن "بهيجة"، والتي رغم أنها خادمة "حسنا" هذه – هي الأخرى – التي حملت سفاحا وطلب منها صاحب الفعلة وربما كان هو نفسه السيد عبد المجيد) أن تسافر لتونس

لإجهاضها، غير أنها رفضت وأنجبت سارة التي تركتها مع "بهيجة" حتي تعود من سفرية إلي المغرب، فهذه الصور تعكس حالة القهر والاغتراب.

تتحدث (الكاتبة) عنهما معا (هي والشقرا تتبادلان الخدمات العاطفية لتضع كل واحدة الأخرى في كفة الخيانة الزوجية، وترجح كفة الإخلاص لصداقتها، وكأنّ لسان حال الواحدة منهما يقول" لا تعايرني و لا أعايرك، الهم طايلني وطايلك". يُسرى تفضح أسرارها و أسرار الجميع، ثم تطلب منهم الصمت وعدم البوح)(الرواية، ص٥٨)

وتعتقد المهاجرات أن الهجرة تخلصهم من القهر والاغتراب والمعاناة وتنقلهم إلى علم أرقى وأجمل ، حيث تنقلهم من طبقة الفقراء والمهمشين إلى طبقة الأثرياء التي يشاهدوها عن قرب، وهن متصورات أن النور والأمل سيأتي من هناك في البعيد، من الغربة والهجرة، أو إن شئنا الدقة، المنفي، إلي حيث المجهول في البلاد البعيدة. وإلي حيث المصير غير الواضح في رحلة الهجرة التي تغيب عنها الشرعية، وإن لم يغب عنها الأمل في غد أفضل في البلاد البعيدة، بعد أن غاب هو الآخر في أرض المنبت والأهل والأحباب، وعجزت الوسيلة، وشُلت القدرة علي تغيير ما هو قائم ومستقر.

فالهجرة كما تقول: "هي هروب من مواجهة القدر في مكان واحد." كل ذلك من أجل فرصة لبداية صفحة جديدة، من حياتهم هناك. صفحة يحرقون قبلها ذاكرتهم، ماضيهم، تاريخهم، وكل مؤهلاتهم، وكأنهم لم يعودوا يمتلكونهم منذ ذلك الوقت وصاعدًا. ولاشك أن الهروب من هذا الواقع المؤلم غير الإنساني، بل والتخلص منه يمثل محاولة إيجابية لتغيير واقعهم.

نساء الريح لسن مرفهات يسافرن إلى الخارج للسياحة في أوربا هناك ولا لاقتناء الأشياء النادرة والثمينة. نساء الريح لا يمثلن النخبة فهن لا يسافرن للخارج لاستكمال الدراسة مثلاً أو للعمل أو للاستقرار هناك. نساء الريح لم يتسلحن بالعلم والوعي وكل عدتهن كانت إرادة عفوية، ورغبة في تغيير واقعهن.

الراغبات في الهجرة نساء يعشن على هامش المجتمع فهن مطلقات وأرامل عوانس وزوجات مكسورات الخاطر وحوامل ، وهن من جنسيات مختلفة عراقيات ومغربيات يختلطن ببقية المهاجرين الجزائريين و التونسيين و المصريين والأفارقة ..... . ويعبر عن هذه الرؤية مصطفى الصفتي حيث يقول : "والمجتمع هو الذى من خلاله يحقق الفرد ذاتيته ومكانته الاجتماعية، وحينما تختل علاقات الفرد بأفراد مجتمعه، وينتج عن هذا الخلل نقص في التفاعل الاجتماعي وقصور في العلاقات الاجتماعية، فإنه ينسحب بعيداً ويعيش في وحدة وعزلة"(مصطفى محمد الصفتي وآخرون، ٢٠٠٠، ص ٥٥).

من المتعارف عليه أن قضية الهجرة قضية كونية عالجها الروائيون العرب ، وتطرقت إليها أسماء نسائية عديدة كغادة السمان وإميلي نصر الله وبهيجة حسن وحنان الشيخ ورشيدة بن مسعود .

نساء الريح صُودرت ذواتهن فودعن الأحلام والحياة البسيطة الهادئة التي تنفث سموم الموت البطيء داخل أجسادهن البائسة.

وهذه الهجرة السرية تترجم ممارسة العنف مشاعر الإحباط و الخوف و الهلع ((هو الخوف من المصير المجهول ، والخوف من شرطة الحدود ، والخوف من الموت و الخوف من الغد، و الخوف من الفشل و العودة، والخوف من السجن، وعندما تستبد مشاعر الخوف بالرجال تكون النساء كبش الفداء (الرواية، ص٩٦) ورغم هذا الخوف المتعدد إلا أنّ الهروب من القهر والأمل في النجاة من الموت وتغيير الحياة نحو الأفضل، والحراك الطبقي لأعلى يمثل الأمل لدى المهاجرات، على الرغم من أنّ النظرة للمرأة في المجتمع العربي مازالت تحمل الضعف والاستكانة والتبعية وعدم القدرة على المبادأة ومواجهة المصاعب، والمخاطر، إلا أنّ نساء الريح قد تجاوزن هذه الرؤية ، وتمردن على هذه الظروف ، ليواجهن كل صور المعناة والمخاطر في سبيل عدم الاستكانة، والتمرد على الواقع المؤلم.

المحور الرابع : الواقعية وسوسيولوجيا الأدب :

إذا كان المنهج الاجتماعي رابطاً بين النص الأدبي والوسط الاجتماعي الذي أنتجها؛ لأنه يرى الرواية من زاوية معالجتها لقضايا ومشكلات المجتمعات، ومحاولة البحث عن حلول لهذه المشكلات، وتناول الروايات لقضايا المجتمع ومشكلاته، يبرز الواقعية في السرد الروائي، حيث إنّ احتكاك الأديب بالواقع الاجتماعي يُعدُّ مصدر استلهام الأديب وانفعالاته.

ينطلق أصحاب الاتجاه الاجتماعي في فهمهم للرواية من رؤيتهم للعلاقة الجدلية بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي/ التاريخي. وقد حاولت رزان مغربي في نساء الريح وصف واقع النساء المغترب، سواء في دول المنشأ (المغرب أو العراق) أو ليبيا ، أو إجراءات وأساليب الهجرة (رحلة الموت) للوصول إلى تحقيق حلم الهجرة.

إنّ الرواية عند ممثلي الاتجاه الاجتماعي تقوم على تجلى التحولات الاجتماعية التاريخية في جدلها مع الإنسان الفرد، بلْ إنها تجسد محاولة تمثيل وضع الإنسان إزاء تحولات التاريخ.

يعرج الكُتّاب الروائيون في كثير من نصوصهم الفنية نحو عالم الخيال وأجوائه الخارقة ؛ لينهلوا من مادته الوهمية صوراً شتى، لا تخلو- في قليل أو كثير من أمرها- من روابط علاقتها مع منظومة الحياة وأشكالها المتنوعة. ويتجلى عالم الخيال في هذه الرواية في دول أوروبا (دول المهجر). باعتبار الوصول إليها خلاص من القهر والاغتراب، أو بداية حياة جديدة تنفصل عن الحياة السابقة، حياة يجد فيها المهاجر النور والأمل، يحقق فيها طموحاته، ويحصل على رغد العيش، حياة تلقي فيها المهاجرات حياتهن السابقة خلف ظهورهن، وتعود المهاجرات بعدها إلى أوطانهم ، وقد انتقلن لطبقة عليا أرستقراطية.

يقول بيلنسكي ".. الفن أساسا، ليس استعراضا للفكرة، ولكنّه انعكاس للحقيقة الواقعية، وهو لا يولد خارج الحياة، ولكنه ينبع منها ويخلق أصدق النماذج لظواهرها" (محمد مصطفى هدارة، ١٩٧٢ ، ص٣٠٠)

صورت لنا الروائية التهميش الذي تعانيه المرأة في المجتمع العربي، إذ بقيت تبحث عن هويتها المسلوبة من طرف الرجل الذي يحتقرها ويقهرها ولا يعترف بمكانتها، أن التهميش يعبر عن العديد من الفئات المهمشة مثل النساء الفقيرات، والمحرومات من الحصول على الخدمات الأساسية والاحتياجات الضرورية للمعيشة، والمحرومات من الخدمات التعليمية المناسبة، والمحرومات من الحصول على خدمات صحية ملائمة لهن ولأوضاعهن المتدنية، والمحرومات من الحصول على مهنة ملائمة تساعدهن على المعيشة، كما وصفت بهيجة (تنظيف قاذورات الآخرين). ولا يقتصر الأمر على هامشية الأعمال التي تقوم بها المرأة، وإنما تدني النظرة المجتمعية لها، فهذه الأعمال ينظر الناس إليها على أنها متدنية، وتخجل المرأة من هذا العمل فلا تستطيع أن تذكره أمام الآخرين، فضلاً عن ذلك تنظر المرأة نفسها للعمل الذي تقوم به على أنه متدن.

ويمكن أن نجمل خصائص الأدب الواقعي كما تواضع عليها الدارسون بأنها:

- اعتمد الأدب الواقعي على التصوير الواقعي للأشياء، كما تظهر في الملاحظة أو التجربة. بدلا من التصوير الخيالي القائم على الوهم أو الحلم أو العاطفة. وقد عرضت رواية نساء الريح بعض تجارب النساء المهاجرات، والمقهورات بناء على حكي بعضهن، وملاحظة ومعايشة واقع بعضهن الآخر.
- الأدب الواقعي أدب موضوعي، يصور الأشياء كما هي، دون تدخل الكاتب فيما يصور، أعني دون إقحام الكاتب ذاته أو معتقداته أو عواطفه فيما يصور، وترى الباحثة أنّ الكاتبة قد حاولت ذلك في بعض المشاهد تصوير الأشياء كما هي من خلال وصف الواقع دون تدخل الكاتبة.
- يستمد الأدب الواقعي موضوعاته وشخصياته من حياة الطبقتين الوسطى والدنيا، وليس من الطبقة الارستقراطية، فيصور قضايا جديدة ذات طابع شعبي وأمثلة إنسانية عادية، لم يكن للأدب عهد بها من قبل، وترى الباحثة أن رزان مغربي حاولت تشريح بعض مشكلات وأوضاع الطبقة الدنيا، حيث الحياة المتدنية، وصور القهر التي تعاني منها بعض شخصيات الرواية.
- لأنّ الأدب الواقعي عني بتصوير أثر المجتمع في الإنسان. ولما كانت الظروف الاجتماعية السائدة في الوقت الذي ظهرت فيه الواقعية مؤلمة وسلبية، فقد برز في هذا الأدب اليأس والنظرة السوداوية إلى الإنسان والحياة .

وقد أبرزت الكاتبة بعض صور القهر والاغتراب من خلال سرد الواقع المؤلم لشخصيات الرواية ، سواء عن طريق السرد المباشر بضمير المتكلم، أو من خلال الحوار، أو عن طريق الحوار الداخلي، أو بواسطة قراءة بعض الأوراق أو عن طريق النميمة النسائية بحيث تحكي النساء عن بعضهن بعضا، أو من خلال حضور الكاتبة ذاتها بعض الأحداث أو مشاركتها في بعض المواقف، فمن خلال العادات والتقاليد، يتم تشكيل السياق الثقافي الذي تتحرك فيه المرأة.

المحور الخامس: أساليب مقاومة الاغتراب كما تعكسها رواية نساء الريح:

لقد أرادت رزان المغربي أن تكون نساء الريح رمزا للتحدّي وعلما على إرادة الحياة . فهنّ يتّسمن بالقدرة على مواجهة الصعاب وتجاوز العقبات يقاومن الموت الاجتماعي والموت المادي، كما أنّهن يحاولن بكلّ ما أوتين من جهد أن يخرجن من دائرة الاستلاب الاقتصادي والقهر الاجتماعي.

وفي مقابل هذه الفئة من النساء الواقفات بوجه الرياح هناك نساء "تافهات ضعيفات لا يقوين على مواجهة الأعاصير، النساء المترفات الغارقات في هموم حياتهن الخاصّة التي يسودها الضجر والملل فلا حديث لهنّ سوى عن الموضة والمصيف وعمليات التجميل .... نساء تفتقر إلى منظومة قيمية حيث المكر والنفاق والخيانة والغيرة والحقد...

كانت بهيجة صادقة في مشاعرها، تحلم بتغير مصيرها بعد الهجرة، ستصبح أغنى وتنال الجنسية ثم تعود، مثل أي مواطنة أوروبية، تأتي في زيارة سياحية، تمشي برفقة دليل بين الآثار. (الرواية، ص٢٥)

رواية ''نساء الريح''، التي تقوم النساء فيها بدور البطولة، نساءٌ يُراهِن على أصناف من المغامرات التي تتراوح بين الجنسية والوجودية والإبداعية، ويقفن في وجه محيط هش لا جذور لديهن فيه، ويصررن على التحرُّك في فضائه الممسوخ، والاستمرار في الوجود، بل وتحقيق الذات عبر مناورات ومبادرات ومغامرات تختلف من امرأة لأخرى، إنهن نساء ينتصرن بصيغ مختلفة.

لقد قرّرت امرأة الريح أن تركب البحر وتتحدّى المخاطر وتصارع في سبيل تحقيق الحلم ومنّت نفسها بالعبور إلى عالم تنحت لها فيه مكانة جديدة تنسيها شقاء الحاضر. ولأنّها ميّالة إلى الفاعليّة فإنّها تنظر إلى المستقبل بتفاؤل تاركة الماضي وراءها منفلتة من حاضر أبى إلاّ أن يقهرها، إلى مستقبل تتخيل أنه جنة في الأرض.

كما أن الذين يقومون بمخاطر الهجرة غير المشروعة لديهم قناعة بأن المكاسب التي سيتحصلون عليها عند وصولهم إلى بلد المهجر ستغطي كل هذه التضحيات التي قدموها في سبيل هذه الهجرة لذلك فإن الصورة التي يضعها المهاجر لدولة المهجر وتصوره عنها تلعب دوراً هاماً في قراره للهروب والهجرة.

نساء الريح نساء لم يستسلمن لقدرهن ويقنعن بدورهن ((التفريخي)) ويرضين بتنظيف قذارة الآخرين، ولم يكتفين بتحمل العبء وحدهن بانتظار أزواجهن المهاجرين الذين بدورهم يأتون مرة في السنة للقيام بدورهم (التخصيبي) أيضاً

نساء الريح لم يبقين في أماكنهن يجلسن أمام الشباك، ويتوجسن طرقات فارس الأحلام على أبواب بيوتهن، عريسا يخلصهن من مشاعر الوحدة والدونية والشعور بالذنب لا لشيء إلا لأنهن لم يحظين بعريس يكسبهن قناعا زوجياً مصطنعا ويهبهن أمومة.

نساء الريح لم يتسلحن بالعلم والوعي وكل عدتهن كانت إرادة عفوية، ورغبة في تغيير واقعهن وشعورا لا إراديا بالقرف من دور فرض بقوة ذكورية، ورسم معالمه وحددها مجتمع ذكوري.

منهن من لم تختر مفارقة الأوطان ، وأجبرت على طاعة الزوج ، وسيقت إلى خوض المغامرة قسراً من مجتمع منح الرجل حق اتخاذ القرارات بيد أن النساء فئة صارت تُريد تغيير الواقع المعاش ، وترفض الاستمرار في تنظيف قذارة الآخرين.

أنّ النساء المهاجرات لا يمثّلن النخبة. فهنّ لا يسافرن إلى الخارج لاستكمال الدراسة أو للعمل أو للاستقرار مع زوج أجنبيّ بل هنّ نساء أحبطت أحلامهن في أوطانهن فقرّرن السفر بمفردهن أو صحبة أطفالهن بحثا عن لقمة العيش. إنّهن يجسدن أنموذجًا جديدًا: نساء يقرّرن ويتحمّلن مسؤولياتهن ويُقمن الحجّة على أنّ مكانة المرأة وأدوارها وصورتها لنفسها قد تغيّرت فصارت تريد تحقيق الاستقلال المادي، وتحلم بإثبات الذات.

وللهجرة أيضا دلالة إيجابية باعتبارها حركة تحرّر من واقع معيش صعب ومن الإكراهات والضغوط المسلّطة على الفرد عموما، وعلى المرأة على وجه الخصوص. فالبطلة امرأة وحيدة فريسة أطماع ذكور استوحشوا في البحر وخافوا المصير المجهول وحرموا من احتضان جسد امرأة (الرواية، ص٣٧)

فإنّها لا تستسلم لقدرها ولا ترضى بالمكتوب بل تتحدّى المشاكل مثبتة بذلك قدرتها على التعامل مع الأحداث وفهم الدوافع ومعلنة في الوقت نفسه، عن بروز جيل جديد من النساء: جيل لا يقبل الانتظار والتواكل والغبن، ولايرضين القهر، ولا يستهويهن انتظار الفارس على الجواد الأبيض الذي سينتشلهن من الضياع والبؤس.

إنّهن نساء يقفن بوجه الريح يصارعن الأمواج في سبيل تحقيق الاستقلالية وإثبات الذات الفاعلة في الوجود ونحت الكينونة وبناء الذات بعيدا عن قيم الخضوع والصبر والطاعة تسافر نساء الريح مع رجالها رجال الريح ــ أيضاً عبر قوارب الهجرة مصطحبين معهم تلك العقلية الذكورية التي ترفض وجود المرأة إلى جانب الرجل ومزاحمتها له.

إنهن نساء ينتصرن بصيغ مختلفة، ولعل أكبر انتصار كان هو نجاح ' بهيجة' في مقاومة المخاطر والموت المحتمل للعبور إلى إيطاليا.

الخاتمة:

لعل أهم ما تخرج به الباحثة بعد أن تستوفي قراءتها النقدية لرواية نساء الريح هو التأكيد على أن هذه الرواية ذات السرد الطويل والمكثف جدا تنتمي إلى تيار الواقعية الاشتراكية المؤمنة بجوهر قضية الصراع الطبقي داخل المجتمعات. فما كان من نساء الريح إلا البحث عن الخلاص والبحث عن مكان أفضل للعيش، فبطولتهن لم تتجسد في تغيير الواقع السياسي أو الاجتماعي الذي وجدن أنفسهن فيه، إنما كانت في محاولة تغييره وان كان على المستوى الشخصي الضيق بالهرب من ذلك المكان بوصفه بيئة طاردة وقاهرة.

أرادت الرواية بذلك نقل خبرات جديدة للمتلقي عبر خروج ايجابي على النمط الاجتماعي السائد حيال المرأة المقهورة والضعيفة والمستكينة، والتأكيد على دور الرواية كفعل تغييري يقود التغيير ويطرح النماذج الإيجابية للمرأة والأفكار المجابهة للمنظومة التقليدية بقصد تعديلها وتغييرها.

ويمكن التأكيد على عدم الاعتماد فقط على السرد المباشر في رواية نساء الريح ، قد أسهم تنوع السرد في الكشف عن سمات تلك الشخصيات ، ومشكلاتها الذاتية والإنسانية .

ومن خلال دراسة رواية نساء الريح باعتبار السوسيولوجيا هي "العلم الذي يدرس المجتمعات والقوانين التي تحكم تطوره وتغيره ، يبرز صوراً مختلفة للمرأة سواء في تعرضها للقهر، أو في محاولة مواجهة عوامل وصور القهر الاجتماعي من خلال قرارات وممارسات تمثل درجة عالية من الصلابة، حيث الهروب من مواجهة القدر في مكان واحد.'' كلّ ذلك من أجل فرصة لبداية صفحة جديدة، من حياتهم، وهذه الصفحة يحرقون قبلها ذاكرتهم، ماضيهم، تاريخهم، وكلّ مؤهلاتهم، وكأنّهم لم يعودوا يمتلكونهم منذ ذلك الوقت وصاعدًا. ولابُدّ أنْ تسأل الباحثة نفسها كما سألت الكاتبة نفسها: بأي قدر من الشجاعة والقوة والصلابة يتحلون؟". ولاشك أن العلاقة بين الشّرق والغرب قضية مهمة، وترد بشكل دائم في الدراسات والرّوايات التي تتحدّث عن الهجرة وتأثيرها على الحراك الطبقي، وتأثير هذه الهجرة على الهوية، وسمات الشخصية لدى المهاجرين. ويتضح ذلك عندما يحرقون كلَّ شيء خلفهم، يحرقون ماضيهم وهويتهم .

ومن خلال الرواية تتجلى صور الاغتراب بأبعاده المتعددة، ومن مظاهر هذا الاغتراب علاقة يسرى بكمال ومنير ورضوخها لمتعتها الخاصة خارج إطار الزواج ، في صراع نفسي داخلي يحمل كلّ معاني الاغتراب عن الذات عندما تذكر أنّ كمال الذي تعشقه بخيل جداً" وكمال من أسرة ليبية محافظة، وتقوم يسرى بدور الواعظ الذي يحكي عن قيم المجتمع... مع أنها أكثر اختراقاً لها.

وفي مواجهة الاغتراب وما يرسخ في النفس من قهر لا حدود له، وتجاوز — في كثير من الأحيان — للتقاليد والقيم ؛ لا تملك الشخصية المغتربة إلا أنّ تبحث عن محاولة تجاوز هذا الاغتراب.

ولم يكن اللجوء إلى الجنس أو الخمر أو العلاقات الزائفة بين نساء الريح ، أو بين النساء والرجال مثل(عادل – كمال — منير) من أجل الخلاص من الاغتراب والقهر، وإنما كان هروبًا من الواقع وزيادة في الاغتراب، بما يؤدي إلى مزيد من الضياع والعبث والاغتراب، إضافة إلى الانقسام على الذات.

ويُعد الهروب من الواقع أو المجتمع مظهرًا من مظاهر الاغتراب عن الذات، حيث يصبح الإنسان موزعًا في صراعه ما بين الوطن والمهجر، أو ما بين الحياة الزوجية والخيانة، ما بين قبول الواقع بتناقضاته وقهره والهروب في باطن مركب في محاولة للخلاص، سواء كان هذا الخلاص موت أو انتقال لبريق الحياة الأوربية.

وهذه الرواية لا تتعلق فقط بتصوير معاناة فئة اجتماعية مسحوقة من النساء والرجال والأطفال تتخذ الهجرة السرية سبيلا إلى الخلاص والتحرر وتحقيق الأحلام، وإنما يتمركز حول تصوير شتى أشكال الاختلالات في الواقع والحياة، سواء بين المهاجرات، أو النساء المغتربات اللاتي تمثل اللامعيارية منهاج حياتهن.

كما يتجلى الاغتراب الاجتماعي في العلاقة القوية بين التنشئة الاجتماعية وواقع الإنسان، وتذكر الأحداث التي عاشتها بعض الشخصيات في الماضي، وتأثير ذلك على الاغتراب حيث إن المرأة التي عانت من الفقر أو تعرضت للعنف ، أو غير من الأفعال اللامعيارية، وهو ما أثر على اغتراب المرأة، وارتكابها أفعال لا معيارية كما في حالة يسرى. ومن مظاهر الاغتراب الاجتماعي الأخرى، الاغتراب العاطفي ودخولها في علاقات اجتماعية أو عاطفية(لامعيارية). أن حالة الاغتراب التي يعيشها الأفراد بين صراع الولاء للمعايير القديمة والجديدة يجعلهم ينحرفون.

وتواجهنا صورة قاتمة ومقيتة لعلاقات الصداقة والحب والزواج ، فالصداقة ضرب من الخداع حيث كل الناس يتكلمن عن بعضهن (حديث الغيبة والنميمة)، والحب يبنى على حب الجسد وحب الخيانة، سواء خيانة الزوج كما في حالة يسرى، أو خيانة الصديقات (حالة هدى وصفاء).

كما تجلى الاغتراب الثقافي في بعض جوانب الرواية ، ويتضح من ملاحظة التناقض بين الممارسة والقيم، وارتداد عن المبادئ، وتحول الكلمات إلى شعارات جوفاء خالية من المعنى والدلالة كما في حالة يسرى التي تمثل ممارساتها انتهاكاً لكلّ القيم والمعايير، وأقوالها التي تعكس القيم والمعايير.

وتؤكد الباحثة على أنّ المرأة تمثل دورا كبيرا في المجتمع حيث تسهم في عملية التقدم والتحرر، لما لها من قدرة على دفع عجلة المجتمع دفعا قويا إلى الأمام بشكل فاعل، وإنشاء أسرة سوية، والوقوف مع الرجل في بناء الأسرة ، وتنمية المجتمع، ولعلّ المرأة الليبية قد ساهمت في تحرر المجتمع وتقدمه، وهذا لا ينفي معاناة بعض النساء من الاغتراب، مثلما يعاني الرجال أيضاً في مجتمعنا العربي سواء كان اغتراب عن الذات أو اغتراب اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي، إلا أنّ التجربة الواقعية، وأيضا الصورة الروائية في نساء الريح أثبت إرادة المرأة وقدرتها على مجابهة القهر والاغتراب، وتجاوز صورة العجز التي رسمها البعض عن المرأة.

توصيات البحث:

بناء على ما أظهرته نتائج البحث، وأهمية الروايات في تناول قضايا الواقع الاجتماعي يتبين للباحثة القصور في ميدان بحث "علم اجتماع الأدب" لذا يمكن وضع عدة توصيات تتمثل في:

١) توفير المراجع والمصادر الخاصة بهذا التخصص، ورفد مكتبات الجامعة بكل جديد حوله.
٢) إضافة تدريس مادة علم اجتماع الأدب أو ملحق لها ضمن مناهج قسم علم الاجتماع.
٣) الاهتمام بكتابة ونشر الروايات التي تتناول القضايا الاجتماعية، وترصد قضايا المجتمع.
٤) الاهتمام بتشجيع كتابة الروايات التي توضح صور المرأة المثقفة والمنتجة، ودورها في تنمية المجتمع.
٥) الاهتمام بتشجيع كتابة الروايات التي تعلي ثقافة حقوق الإنسان، وحقوق المرأة.
٦) الاهتمام بتدريس مناهج وطرق بحث علم اجتماع الأدب.

المصادر:

١) بيير زيما : النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع للنص الأدبي)، ترجمة عايدة لطفي، مراجعة أمينة رشيد ، سيد البحراوي ، دار الفكر، القاهرة، ط ١ ،١٩٩١.
٢) جون دكت، علم النفس الاجتماعي والتعصب، (ترجمة) عبد الحميد صفوت، سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢.
٣) حماد حسن أبو شاويش، إبراهيم عبد الرازق عواد، الاغتراب في رواية "البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا، – مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيه ٢٠٠٦.
٤) رزان مغربي، نساء الريح، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الطبعة الأولى ٢٠١٠.
٥) ريتشارد شاخت، شاخت، ريتشارد، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٠،ص ٣٥-٣٧ .
٦) عليوات، إبراهيم ، التجربة الأردنية في مكافحة الفقر، الاسكوا،٢٠١٢.
٧) فاطمة يوسف العلي ، الحراك الاجتماعي الكويتي في القصة القصيرة، دبي : دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ، مجلة دبي الثقافية، ٢٠١٠.
٨) قيس النوري: "الاغتراب مصطلحاً ومفهوماً و واقعاً"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد العاشر، العدد الأول، يونيو، ١٩٧٩م.
٩) محرم ، ابراهيم ، وآخرون ، تأنيث الفقر في ضوء مؤشرات التنمية البشرية والواقع الاجتماعي الريفي، مجلة العلوم الاقتصادية والاجتماعية ، جامعة المنصورة، ع٣، مجلد٨، ٢٠١٢.
١٠) محمد مصطفى هدارة ، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، بيروت : دار الثقافة،١٩٧٢.
١١) مصطفى محمد الصفتي وآخرون، علم النفس الاجتماعي والصحة النفسية والتربية الصحية، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠.
١٢) وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، طبع بدعم من الوزارة الثقافية، دروب للنشر والتوزيع على الطبعة العربية، دط، ٢٠١٠.
13) Chen, Kevin(1992) Political Alienation andvoting Turnoutin The United States, Mellen Research University Press, San Francesco.
14) Seeman, Malvin: "On the Meaning of alienation", American Sociological Review, Vol. (24), 1959.,p. 98